

روح المعاني

ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالاتها على صحة رسالتهم أو الكتب والشرائع وحاصله أنهم أشاروا إلى جوابهم هذا كأنهم قالوا : هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق وهذا كما يقع في كلام المخاطبين أنهم يشيرون إلى أن هذا هو الجواب ثم يقررونه أو يقررونه ثم يشيرون بأيديهم إلى أن هذا هو الجواب فضمير أيديهم وأفواههم إلى الكفار والأيدي على حقيقتها والرد مجاز عن الإشارة وهي تحتل المقارنة والتقدم والتأخر وقال أبو صالح : المراد أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك للرسول عليهم السلام أن يكفوا ويكتموا عن كلامهم كأنهم قالوا : اسكتوا فلا ينفعكم الاكثار ونحن مصرون عن الكفر لانقلع عنه .

فكم أنا لأصغي وأنت تطيل .

فالضمير أن للكفار أيضاً وسائر ما في النظم على حقيقته .

وأخرج ابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن المراد أنهم عضوا أيديهم غيظاً من شدة نفرتهم من رؤية الرسول وسماع كلامهم فالضميران أيضاً كما تقدم واليد والفم على حقيقتهما والرد كناية عن العض ولا ينافي الحقيقة كون العضوض الأنامل كما في قوله تعالى : عضوا عليكم الأنامل من الغيظ فإن من عض موضعاً من اليد يقال حقيقة إنه عض اليد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المراد أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم تعجباً مما جاء به الرسول عليهم السلام وهذا كما يضع من غلبه الضحك يده على فيه فالضميران وسائر ما في النظم كما في القول الثاني وجوز أن يرجع الضمير في أيديهم إلى الكفار وفي أفواههم إلى الرسول عليهم السلام وفيه احتمالان الأول أنهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسول عليهم السلام أن اسكتوا والآخر أنهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسول عليهم السلام منعاً لهم من الكلام وروى هذا عن الحسن والكلام يحتمل أن يكون حقيقة ويحتمل أن يكون استعارة تمثيلية بأن يراد برد أيدي القوم إلى أفواه الرسول عليهم السلام عدم قبول كلامهم واستماعه مشبهاً بوضع اليد على فم المتكلم لاسكاته وظاهر ما في البحر يقتضي أنه حقيقة حيث قال : إن ذلك أبلغ في الرد وذهب في الاستطالة على الرسول عليهم السلام والنيل منهم وإن يكون الضمير في أيديهم للكفار وضمير أفواههم للرسول عليهم السلام .

والإيدي جمع يد بمعنى النعمة أي ردوا نعم الرسول عليهم السلام التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى إليهم من الشرائع والأحكام في أفواههم ويكون ذلك مثلاً لردّها وتكذيبها بأن يشبه رد الكفار ذلك برد الكلام الخارج من الفم فقليل : ردوا أيديهم أي

مواظبتهم في أفواههم والمراد عدم قبولها وقيل : المراد بالأيدي النعم والضمير الاول للرسول عليهم السلام أيضا لكن الضمير الثاني للكفار على معنى كذبوا ما جاءوا بأفواههم أي تكذبا لا مستند له وفي بمعنى الباء وقد أثبت الفراء مجيئها بمعناها وأنشد وأرغب فيها 1 عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست أرغب وضعف حمل الايدي على النعم بأن مجيئها بمعنى ذلك قليل في الاستعمال حتى أنكره بعض أهل اللغة وان كان الصحيح خلافه والمعروف في ذلك الايدي كما في قوله :